المحاضرة التاسعة

صلة الصوت بنشأة اللغات والمعنى:

أولا: النظرية الصوتية

اللغة ظاهرة إنسانية عامة نستطيع بوساطتها أن ننقل إلى الآخرين المعاني التي تدور في أذهاننا، وهي منطوقة مرتبة ترتيبا معينا، يفهم السامع المراد، فإذا ما تغير الترتيب اختل المعنى، فلو طرق سمعنا هذه الأصوات: (ك ت ب ز ي د د ر س ه) لفهمنا ما دار في ذهن المتكلم، ولكنها لو خرجت مختلة الترتيب هكذا: (ه س ي ك د ر ت ب ز د) ما فهمنا شيئا، مع أن الأصوات هي نفسها لم تتغير، والذي تغير هو ترتيبها في النطق.

فما الذي جعل الأصوات مفهومة في الترتيب الأول، وغير مفهومة حين اختل نظمها، ولماذا يكون لهذه الأصوات معنى، حينما تقع في سمع العربي، ولا يكون لها معنى في سمع رجل من الهند مثلا؟ وكيف نشأت اللغات الإنسانية؟

اختلف العلماء والمفكرون كثيرا حول موضوع نشأة اللغة الإنسانية، ورأى بعضهم أنه لا طائل من دراسة نشأة اللغات؛ لأنها من الأمور الغيبية القائمة على الحدس والتخمين، وأنها ترتبط بالصبغة الشخصية.

ورأى بعضهم أن يقدم تفسيرا نظريا لنشأة اللغات، كي لا يترك الدارسين في حيرة من أمرهم؛ لذلك ظهرت عدة نظريات تفسر نشأة اللغات قديما وحديثا منها:

١. **نظرية المواضعة والاصطلاح:** وحاولت هذه النظرية تفسير نشأة اللغة بأنها مواضعة واصطلاح، بحيث كان ارتجال الألفاظ أساسا في بناء اللغة. وصورته أن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظا يدل عليه ويغني عن إحضاره أمام البصر. وطريقة ذلك أن يقبلوا على شخص ويشيرون إليه قائلين إنسان، فتصبح هذه الكلمة اسما له وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو، وقالوا: يد، عين، رأس، قدم ... إلخ.

٢. **النظرية الصوتية:** وهي التي نحن بصدد الكلام عليها؛ لارتباطها بموضوع الأصوات التي ندرسها هنا، وخلاصتها: أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها، أو بعبارة أخرى: أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء، وقد عرض ابن جني لهذا الرأي فقال: (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ... ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد). وهذا يعني أن الإنسان بدأ بمحاكاة الأصوات الطبيعية، ثم أخذ بعدئذ يعبر عن تلك الظواهر بحكاية أصواتها، وكانت تلك بداية لفت نظره إلى استعمال جهازه الصوتي، ثم بدأ يطور هذا الاستعمال؛ ليعبر عن حاجات حياته المختلفة.

وهناك أربعة آراء تبين العلاقة بين الصوت ونشأة اللغة وهي:

أ- رأي قائل بمحاكاة الأصوات الطبيعية، وواقع اللغات يبين أن كثيرا من الألفاظ انحدرت من تلك الأصوات.

ب- رأي يبين أن بداية استعمال الإنسان لجهازه الصوتي كان عن طريق التأوهات والشهقات التي تصدر عنه بصورة غريزية.

ت- رأي يبين الصلة بين المؤثرات الخارجية لي يراها الانسان وبين اصدار اصوات تعبر عن تلك المؤثرات وهي صدى لها

ث- رأي يقول إن الأصوات صدرت عن الإنسان وهو يقوم بعمل جماعي شاق تعاونت معه مجموعة من الناس على أدائه.

٣. **نظرية الإلهام:** وتعرف أيضا بـ (الوحي) و(التوقيف)، وخلاصة هذه النظرية أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الأشياء، ألهم آدم عليه السلام أن يضع لها أسماء فوضعها، واستند أصحاب هذه النظرية إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة. وقد استدل علماء العرب بقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة). ويعد الجاحظ وابن فارس ممن يقول ويؤمن بهذه النظرية، وهي الرأي الراجح.